



الحث على العمل من منظور الاقتصاد الإسلامي

Encouraging Work from an Islamic Economic Perspective

إعداد

أحمد هزاع قايد قاسم
Ahmed Hazza Qaid Qasim

الباحث في كرسي الملك عبدالله للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة – جامعة الملك سعود

أ.د/ سليمان بن قاسم العيد
Prof. Sulaiman Qasim Al-Eid

المشرف على كرسي الملك عبدالله للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة – جامعة الملك سعود

Doi: 10.21608/jasis.2025.420208

٢٠٢٥ / ١ / ١٧

استلام البحث

٢٠٢٥ / ٢ / ١٥

قبول البحث

قاسم، أحمد هزاع قايد والعيد، سليمان بن قاسم (٢٠٢٥). الحث على العمل من منظور الاقتصاد الإسلامية. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٩ (٣٢)، ١ - ٢٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الحث على العمل من منظور الاقتصاد الإسلامي

المستخلص:

حث الإسلام على العمل والإنتاج باعتباره الرافد الأساسي للاقتصاد الإسلامي، وارتبطت العقيدة الإسلامية بالعمل والإنتاج ارتباطاً وثيقاً، ومن خلال الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب يأتي العمل حسناً ومُجوداً، وتتعدد مصادر الإنتاج وتزيد لتغطي مختلف حاجات الإنسان بما يحقق الاكتفاء الذاتي للفرد والأسرة والمجتمع، وتمتلك الأمة بالعمل والإنتاج مقومات حضارتها وقوتها وهيبته، كما تمتلك قرارها واستقلالها، وللإيمان أثره في رفع كفاءة العمل وجودته وزيادة الإنتاج، فالمؤمن لا يعرف الاتكال ولا التوقف ولا التعثر، ولا يستسلم لليأس ولا للفشل، ولا يرض أن يمد يده لغيره بطلب مساعدة ما دام قادراً على العمل والإبداع والإنتاج، بل يستعف عما في يد الناس فاليد العليا خير من اليد السفلى، كما أن جميع الشبه التي تلصق بالفقر والتخلف بالإسلام وبعقيدته الصحيحة باطلة بنصوص الكتاب والسنة، وبما حققه المسلمون الأوائل من نهوض وحضارة امتدت لقرون طويلة، لأنهم تمسكوا بالكتاب والسنة وعملوا بمقتضى أحكامه وآدابه وتوجيهه، وكلما تمسك المسلمون بدينهم قوى اقتصادهم وتحقق الاكتفاء الذاتي، وهذا هو جوهر الإسلام الناصع وحقيقته التي لا تحتمل التأويل.

الكلمات المفتاحية : الإسلام-العمل-الإنتاج- اقتصاد .

Abstract:

Islam encourages work and production as the fundamental pillar of the Islamic economy, establishing a strong link between Islamic faith and productive labor. By combining reliance on Allah (tawakkul) with taking necessary means, work becomes efficient and well-executed. The sources of production diversify and expand to meet the various needs of individuals, families, and societies, ensuring self-sufficiency. Through work and production, a nation builds the foundations of its civilization, strength, dignity, and independence, empowering it to make its own decisions. Faith significantly enhances the efficiency and quality of work and increases productivity. A believer does not rely on others, hesitate, falter, or succumb to despair or failure. Instead, they avoid asking for help from others as long as they are capable of working, innovating, and producing. They

maintain self-reliance, adhering to the principle that "the upper hand is better than the lower hand". All allegations associating poverty and backwardness with Islam or its authentic creed are invalid, as evidenced by the Quran, the Sunnah, and the achievements of early Muslims. These pioneers built a thriving civilization that lasted for centuries because they adhered to the Quran and Sunnah, applying their teachings, guidance, and ethics. The more Muslims adhere to their faith, the stronger their economy becomes, achieving self-sufficiency. This reflects the pure essence of Islam and its true reality, which is beyond misinterpretation.

Keywords: Islam, work, production, economy.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن الله ﷻ خلق الإنسان ليعمر الأرض باعتباره خليفته فيها، وهذا الإعمار يتأتى بالعمل والإنتاج، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، والعمل والإنتاج جزء لا يتجزأ من العبادة التي تمثل الغاية والهدف من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وللإسلام أثره في البحث على العمل وزيادة الإنتاج، وهذا ما سيتناوله هذا البحث مُستهِلاً ذلك بالآتي:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تنبع أهمية البحث من أهمية موضوعه نظراً للحاجة إليه في تحقيق الرخاء والتقدم والنهوض في مختلف مجالات الحياة، ولتفنيده ما يثار من قبل الأعداء حول عدم صلاحية الإسلام وعدم قدرته على تحقيق النمو والتطور والنهوض الحضاري.
 ٢. إن نصوص الكتاب والسنة تحث على العمل وتحسينه وتجويده، وكذلك زيادة الإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي وبما يحقق التطور والنهوض في جميع المجالات.
- ثانياً: أهداف البحث:

١. بيان مفهوم العمل والإنتاج وحكمهما في الإسلام.
٢. إبراز أهمية العمل والإنتاج وأهدافهما في الإسلام.
٣. توضيح علاقة العمل والإنتاج بالتوكل والأخذ بالأسباب.

٤. بيان أثر الإيمان في العمل والإنتاج.

ثالثاً: أسئلة البحث:

١. ما مفهوم العمل والإنتاج وحكمهما في الإسلام؟
٢. ما أهمية العمل والإنتاج وأهدافهما في الإسلام؟
٣. ما العلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب والعمل والإنتاج؟
٤. ما أثر الإيمان في العمل والإنتاج؟

رابعاً: مشكلة البحث:

تقوم الحضارات وتتقدم المجتمعات بالعمل وزيادة الإنتاج؛ لأن الاقتصاد عصب الحياة والحضارات، وهناك من يعلق الفقر والتخلف باعتناق العقيدة الإسلامية، ولهذا أتى البحث ليبين أثر العقيدة الإسلامية في الحث على العمل وزيادة الإنتاج، واعتبار ذلك عبادة بنصوص الكتاب والسنة، وأن المسلمين حققوا النهوض في مختلف المجالات وصنعوا حضارات على مدى قرون عندما تمسكوا بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة وشرعية حياة.

خامساً: حدود البحث:

حدود البحث الموضوعية بنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بإبراز العلاقة الوطيدة بين الحث على العمل من منظور الاقتصاد الإسلامي، ومناقشة ذلك وفق المنهج المعتمد في البحث للوصول إلى خاتمة تلخص أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

سادساً: الدراسات السابقة:

تناول العديد من الباحثين والكتاب العمل والإنتاج كجزء لا يتجزأ من الاقتصاد الإسلامي، سواء كان ذلك في كتب ودراسات مستقلة أو في بحوث ومقالات علمية منشورة في مختلف الصحف والمواقع وغيرها، غير أن هذه البحث سيحاول الربط بين الإسلام كعقيدة وشرعية والعمل والإنتاج، وهذا ما يميز هذا البحث عن غيره من الدراسات السابقة.

سابعاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهجي الوصفي التحليلي.

ثامناً: إجراءات البحث:

التقيد بالإجراءات المتعارف عليها في مناهج البحث العلمي من جمع المادة العلمية ذات الصلة بموضوع الدراسة من مختلف المصادر والمراجع، وعزو النصوص إلى مصادرها، وتخريج الآيات والأحاديث، والتعريف بالأعلام، وما إلى ذلك.

تاسعاً: مصطلحات البحث:

● الاقتصاد الإسلامي:

يُعرف الاقتصاد الإسلامي بأنه: ((ذلك العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة لإنتاج ما يمكن إنتاجه من سلع وخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم الإسلامية والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع))^(١).

● العمل:

يُعرف العمل بأنه ((الجهد البدني والعقلي الذي يبذله الإنسان في مجال سعيه الدنيوي... في سبيل إنتاج الخدمات والسلع الاقتصادية لغرض الكسب والعيش))^(٢)، وسواءً كان العامل يعمل لنفسه أم لغيره بأجرٍ قليل أو كثير، وفي مختلف الحِرَف والمهن اليسيرة أو الشاقة، فكل ذلك يندرج تحت مُسمّى العمل.

عاشراً: تقسيم البحث:

يتضمن هذا البحث ومقدمة، وتمهيداً، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر:

ملخص البحث.

المقدمة المنهجية، وفيها: وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، وأسئلته، ومشكلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وإجراءاته، ومصطلحاته، وخطة البحث.

تمهيد: أهمية الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الأول: أهمية العمل والإنتاج في الإسلام.

المطلب الثاني: أهداف الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الثالث: مقومات العمل والإنتاج في الإسلام.

المبحث الثاني: علاقة العمل والإنتاج بالتوكل والأخذ بالأسباب.

المطلب الأول: مفهوم التوكل والأسباب والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: التوكل والأسباب في الإسلام.

المبحث الثالث: أثر الإيمان في العمل والإنتاج.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

ولا يفوتني أن أقدم بالشكر لجامعة الملك سعود وعمادة البحث العلمي ممثلة في وكالة العمادة للكراسي البحثية على دعمها لهذا البحث ومناشط كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

^(١) موسوعة المصطلحات الاقتصادية: حسين عمر: ص ٥.

^(٢) مفهوم العمل وأحكامه العامة في الإسلام: صادق مهدي السعيد: ص ٩.



والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به

تمهيد: أهمية الاقتصاد الإسلامي:

يُعدُّ الاقتصاد ركيزة أساسية من ركائز تطور الأمة الإسلامية ونهوضها الحضاري المنشود، والاقتصاد الإسلامي يختلف شكلاً ومضموناً عن سائر الأنظمة الاقتصادية الوضعية؛ لأنه يستمد تعاليمه وأحكامه وأدابه من الشريعة الإسلامية الغراء، ولأنَّ المسلم من خلاله يؤدي دوره المنوط به، ويسعى إلى نيل مرضاة الله ﷻ، والفوز في الدار الآخرة.

إنَّ الاقتصاد الإسلامي القوي يمنح الأمة قرارها وهيبته، ويدفعها إلى الريادة في مختلف المجالات، وأن تأخذ مكانها اللائق بين الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كما أنَّه يَمَكِّنُها من تحقيق أهدافها وأداء رسالتها في الدعوة إلى الله ﷻ على بصيرة، وأن تُقيم موازين الحق والعدل في نفسها وفي غيرها، وتنصر المظلومين المكالمين، ويعم الخير من خلالها أرجاء المعمورة.

ولا يمكن أن يتقدم الاقتصاد الإسلامي، ويتجاوز مرحلة الخمول والعجز إلا بالتمسك بتوجيهات الشرع، والعمل بمقتضى قيوده وضوابطه، فهو في غناء من أن يستمد من تشريعات أنظمة وضعية أثبتت التجارب فشلها، بقدر ما هو بحاجة إلى تنفيذ أوامر الشرع واجتناب نواهيهِ في سائر عقود ومجالات الاقتصاد الإسلامي، وبهذا يستطيع أن يحقق النمو والزيادة المتسارعة، وبما يكفل الديمومة والاستمرار، وتحقيق الرخاء والسعادة لجميع أفراد المجتمع المسلم.

وللإسلام عقيدة وشريعة أثره في إيجاد اقتصاد إسلامي شامل، يكون قادراً على سد حاجة الفرد والمجتمع والأمة، وما أتى الإسلام إلا ليخرج الناس من عبادة البشر إلى عبادة رب البشر، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وهو بهذا يكفل لهم حياة عزيزة وكريمة، ويوفر لهم متطلبات الحياة بالقدر الذي يُمكنهم من عبادة الله ﷻ وعمارته الكون، وستتناول هذه الدراسة الحث على العمل من منظور الاقتصاد الإسلامي، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

العمل والإنتاج في الإسلام

للعمل والإنتاج في الإسلام دورهما في تحقيق تنمية اقتصادية شاملة، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

أهمية العمل والإنتاج في الإسلام

العلاقة وثيقة بين العمل والإنتاج، فالعمل يُؤدّي إلى الإنتاج، والإنتاج هو ثمرة العمل المُنظَّم^(٣)، وأمّا حُكم العمل في الإسلام فهو فرض كفاية، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، كما أنّ العمل أثر الإيمان وثمرته، ((والإيمان لم يأت في القرآن مجرداً عن العمل؛ بل عطف عليه العمل الصالح في كثير من الآيات))^(٤)، فلا يحل لمسلم أن يقعد عن العمل، أو يعتمد على المساعدات والإعانات، وهو قوي قادر على الاكتساب، فاليد العليا خير من اليد السفلى، لقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»^(٥)، ويجب أن يُوفّر العمل من الناحية الاقتصادية ((حد الكفاية لا الكفاف، أي المستوى اللائق للمعيشة... لا مجرد المستوى الأدنى اللازم للمعيشة))^(٦).

ورزق العبد معلوم، وقدره محتوم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطَفُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، فما من مخلوق إلا وقد كفل الله ﷻ رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ولكن اقتضت سنة الله ﷻ وحكمته في خلقه ألا ينال رزقه المضمون إلا بسعي وعمل، ومشى في مناكب الأرض، أي ((جعل لذلك الرزق أسباباً ينال بها، فمن ادعى أن لا حاجة به إلى السعي في طلب الرزق، وأنّ ما قُدر له من رزق سوف يأتيه سعى أو لم يسع لم يفقه قدر الله ﷻ في عباده))^(٧).

وأمّا حُكم الإنتاج فهو فرض كفاية على كل مسلم في كل جانب من جوانب الإنتاج، ويلحق الإثم جميع الأمة إذا أهملت الإنتاج بشكل عام، أو جانب من الإنتاج تحتاجه الأمة، يقول ابن تيمية: ((وعلى هذا فإذا احتاج المسلمون إلى الصناعات: كالفلحة والنساجة والبنّاية... وقد ذكر طائفة من العلماء من أصحابنا وغيرهم: أنّ أصول الصناعات كالفلحة والحيّاكة والبنّاية: فرض على الكفاية، والتحقيق: أنّها فرض عند الحاجة إليها؛ وأمّا مع إمكان الاستغناء عنها فلا تجب))^(٨).

والمسلم بحاجة إلى الإنتاج في مختلف المجالات، وخصوصاً في الجوانب التي تقوم عليها الحياة، فبالقدر الذي يُنتجه الفرد أو الجماعة أو المؤسسة فإنه يستهلكه

(٣) انظر: مفهوم العمل وأحكامه العامة في الإسلام: صادق مهدي السعيد: ص ٩. والاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٧٦.

(٤) الوجيز في عقيدة السلف الصالح: عبد الله بن عبد الحميد الأثري: ص ١٠٣.

(٥) صحيح البخاري: ١١٢/٢، رقم (١٤٢٧)، وصحيح مسلم: ٢/٢١٧، رقم (١٠٣٤).

(٦) الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول: محمد شوقي الفنجري: ص ٦٧.

(٧) القضاء والقدر: عمر بن سليمان الأشقر: ص ٨٣.

(٨) مجموع فتاوى: ابن تيمية: ١٩٤/٢٩.

آخرون؛ لأنهم بحاجة إليه، ((فبالإنتاج يعمل الإنسان اللباس الذي يوارى به سوءته، وآلات إنتاج الماء، وما يُسهّل به طريق الحج، وما يقوّي بدنه من طعام وشراب، ليتمكن من أداء العبادات على الوجه المشروع، ولذا عدّ الفقهاء الإنتاج لأنواع الصناعات التي يحتاجها الناس من فروض الكفاية؛ لأنّه لا تتم مصلحة الناس إلا بها، كيف يتمكن المسلم من عبادة الله ﷻ، وهو يتلوى من الجوع والمرض، أو لا يتمكن من احتمال البرد أو الحر))^(٩).

كما تنبع أهمية العمل في الاقتصاد الإسلامي على اعتبار أنّه أهم دعائم الإنتاج، والإسلام يحث عليه؛ لأنّه ((أساس العيش والحياة والحضارة والمدنية، وهو من أهم حقوق الإنسان من ناحية كونه الركن الأساسي في العيش والحياة، ومن أهم واجبات القادرين على ممارسته، وواجبات ولي الأمر في المجتمع؛ ولأنّه يتعلق بالعمل حقوق وواجبات الأطفال والشيوخ والمرضى والعجزة والمقعّدون والعاطلون الغير قادرين على العمل، فهؤلاء يعيشون من ثمار عمل الآخرين))^(١٠).

وأشرف العمل منزلة وأعظمه قدراً ما يقرب من الله ﷻ، كالعبادات الخالصة من صلاة وصيام وزكاة وحج، والأعمال المباحة إذا اقترنت بالنية الصالحة، ويثني الإسلام على جهد العامل وكسبه الحلال، والحث على العمل المباح جاء عاماً فيشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادي، كالتيجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة وغيرها، ولا تنقص قيمة الإنسان في نظر الإسلام بمباشرة العمل الحلال وإن عدّه الناس عملاً بسيطاً أو حقيراً؛ لأنّ قيمة الإنسان في نظر الإسلام في دينه وتقواه، لا في ماله وغناه، ولا في عمله ومهنته^(١١).

المطلب الثاني

أهداف الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي

يسعى الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي إلى تحقيق العديد من الأهداف، وهذه الأهداف ذات صلة بالفرد والمجتمع والأمة، كما أنّها بحاجة إلى تعاون الجميع في تحقيقها، ومن أبرزها:

١. تحقيق معنى العبودية لله ﷻ:

المسلم يتعبد الله ﷻ بما يعمل وفيما ينتج، وذلك شريطة النية الصادقة والإخلاص، فهو بعمله وإنتاجه يتقرب إلى الله ﷻ ويعبده، ولعلّ هذا من خصائص الإسلام في الاقتصاد وغيره، ((والإسلام يتميز عن غيره أن جعل الإنتاج عبادة إذا اقترنت بالنية،

^(٩) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٧٧.

^(١٠) مفهوم العمل وأحكامه العامة في الإسلام: صادق مهدي السعيد: ص ١٨ (بتصرف).

^(١١) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان: ص ٢٤٨.

والرغبة في جزاء الله ﷻ وحسن ثوابه، وأنه يبتغي بإنتاجه وجه الله ﷻ))^(١٢)، ويقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى»^(١٣).

٢. توفير حد الكفاية للفرد والمجتمع والأمة:

لا بد من تنوع موارد الإنتاج حتى يشمل كل ماله علاقة بمصالح البشر، ويستطيع من خلالها توفير حد الكفاية للفرد والمجتمع والأمة؛ لأنَّ توفيرها في حد ذاته هدفاً استراتيجياً من أهداف الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، ((أوجب الإسلام تنوع الإنتاج ليغطي احتياج البشرية في حياتها المختلفة، والحياة اليوم تنعم بصناعات متعددة، كصناعة البتروكيماويات^(١٤)، والسيارات، والقاطرات، والطائرات، والحاسبات الآلية، كما تنعم بالأنشطة الزراعية ذات الإنتاج المتعدد))^(١٥).

وكل ما يحتاجه الفرد والمجتمع والأمة موجود بوفرة، سواء ما أودعه الله ﷻ في باطن الأرض من خيرات ومعادن، أو ما هو مبثوث فوق ظهرها أو في عالم الأفلاك، وما على الإنسان إلا استغلال هذه الموارد، وتطويعها في خدمته ومنفعته، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، ((أي: ودلَّ لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم لتنتفعوا بحرارتها وضوئها، وسخر لكم ما في الأرض من دابة وشجر وزرع وبحار وأنهار وغيرها من جميع ما تنتفعون به ويُسهِّل لكم سُبُل الحياة، هذه الأشياء وغيرها كأنه منه، وحاصلة من عنده، فهو مُكَوِّنُهَا ومُوجِدُهَا بقدرته وحكمته ثم سَخَّرَهَا لخلقها))^(١٦).

وتوفير حد الكفاية للفرد والمجتمع والأمة، وما وعد الله ﷻ بالخير والفتح والتمكين لأهل الإيمان والصلاح والتقوى والاستقامة لا يأتي طوعية من تلقاء نفسه، وإنَّما لا بد من العمل والكفاح والجهاد والمجاهدة، فالجزء من جنس العمل، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، أي أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يفهموا الدين على أنه رهبانية، وانقطاع عن الحياة، أو انشغال عن تنميتها، فالرهبانية لا وجود لها في الإسلام، وهي كما لخصها

(١٢) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٧٧.

(١٣) صحيح البخاري: ٦/١، رقم (١)، وصحيح مسلم: ١٥١٥/٣، رقم (١٩٠٧).

(١٤) البتروكيماويات: هي المواد الكيماوية المستخرجة من النفط.

(١٥) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٨٥.

(١٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: ٨٧٩/٩.

القاسمي^(١٧) ((المبالغة في العبادة والرياضة، والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل))^(١٨).

فالمسلم في حركة مستمرة متوازنة لا رهبانية فيها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٧ - ٨]، أي إذا فرغت من شغلك مع الناس ومع الأرض، ومع شواغل الحياة؛ فتوجه بقلبك إلى الله ﷻ وحده، فالزاد الحقيقي الذي يُغذي المؤمن في حياته، وفي طريقه حتى يلقي الله ﷻ، ((إذا فرغت من أشغال الدنيا فانصب في العبادة وإلى ربك فارغب))^(١٩).

٣. تمكين المجتمع الإسلامي من تحقيق أهدافه وأداء رسالته:

للمجتمع المسلم هدفه ورسالته في الحياة، ولعل من أهداف الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي أنه يُمكن المجتمع من أداء رسالته، وحماية نفسه، وإغناء أهله، فيتحقق الاكتفاء الذاتي للفرد في ظل المجتمع المنتج، ويستطيع الفرد أن يمد يده بالإحسان لمن حوله، وأن يعين ذوي الحاجة من قومه، ويسهم في مصالح مجتمعه، ويُنفق في سبيل دينه ووطنه وأُمته، فالمسلم المنتج يكون مُعطيًا مُنفقًا، ومُحسنًا لجميع الناس، قال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى...»^(٢٠).

٤. المحافظة على الموارد وحمايتها:

الإنتاج يستغل الموارد ويحافظ عليها؛ لأنَّ الهدف من الإنتاج في الإسلام المحافظة على الموارد باعتبارها نعمةً من الله ﷻ يجب شكره عليها، ويندرج في الشكر المحافظة عليها من الفساد أو الضياع أو غير ذلك، وقد أشار الشرع إلى بعض الأمور التي تُفسد الإنتاج، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَّغْمُهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ((ومن أنواع سفاهتهم أنَّ الأنعام التي أحلها الله ﷻ لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها وينتفعون، قد

^(١٧) جمال الدين القاسمي [ت: ١٣٣٢هـ]: عالم أهل الشام، وفيها اعتكف على التصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير والتوحيد والحديث والأخلاق والتاريخ والأدب وغير ذلك، من مؤلفاته: "محاسن التأويل" في التفسير. انظر: معجم المفسرين: عادل نويهض: ١/١٢٧.

^(١٨) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١٥٧/٩.

^(١٩) مجموع فتاوى: ابن تيمية: ٤٩٥/٢٢.

^(٢٠) صحيح البخاري: ١١٢/٢، رقم (١٤٢٧).

اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً من تلقاء أنفسهم...والحرث يقولون فيها...محرم...وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها، أي: بالركوب والحمل عليها^(٢١)، وفي هذا إهدار لموارد إنتاجية ذات فوائد متعددة، وهذا ما نهى عنه الشرع وذم مقترفيه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفَتَّرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، بل يُعدُّ هذا من صنيع الكفار والعياذ بالله.

كما نهى الشرع عن العبث بالثروة الحيوانية والنباتية، فجعل قاطع السدر عبثاً في النار، قال ﷺ: «من قطع سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»^(٢٢)، وهذا يدل على حرص الإسلام على المحافظة على موارد الإنتاج، والانتفاع بها، وعدم العبث بها، مهما كان حجم المورد أو ثمنه.

وأيضاً مما يدل على المحافظة على موارد الإنتاج في الإسلام، أنه أوجب المحافظة على الحيوانات من الأمراض المُعْدِيَّة، قال ﷺ: «لا يورذن ممرض على مصح»^(٢٣)، أي لا يختلط صحيح الإبل مع سقيمها في طعام وشراب واحد، فينتقل عدوى المرض، وهذا توجيه بالوقاية من المرض، فإذا أصيبت وجب علاجها، باعتبارها مورداً إنتاجياً ينبغي المحافظة عليه.

ونهى الشرع عن ذبح الشاة الحلوب إذا توفر البديل عنها، فقال ﷺ للرجل الذي استضافه من الأنصار^(٢٤)، وأراد أن يذبح شاة: «إياك والحلوب»^(٢٥)، وأمر بالانتفاع بجلد الميتة، حيث مرَّ ﷺ بشاة ميتة لميمونة^(٢٦) -أم المؤمنين- قال: «هلا انتفعتم بجلدها؟ قالوا: إنها ميتة، قال: إنما حُرِّمَ أَكْلُهَا»^(٢٧)، أي يطهر جلد الميتة بالدبغ، والانتفاع به، كما أمر الشرع بعدم ترك اللقمة للشيطان، ولعق الأصابع، قال

^(٢١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ص ٢٧٥.

^(٢٢) سنن أبي داود: ٣٦١/٤، رقم (٥٢٣٩)، والسنن الكبرى للبيهقي: ٢٣٠/٦، رقم

(١١٧٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٧٣/٢-١٧٤، رقم (٦١٤).

^(٢٣) صحيح البخاري: ١٣٨/٧، رقم (٥٧٧٠).

^(٢٤) الرجل هو: أبو أيوب الأنصاري، وقيل: أبو الهيثم بن التَّيَّهَان. انظر: سُبُلُ الْهُدَى

والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي: ١٠٣/٧.

^(٢٥) صحيح مسلم: ١٦٠٩/٣، رقم (٢٠٣٨).

^(٢٦) ميمونة بنت الحارث الهلالية [ت: ٥١هـ]: زوج النَّبِيِّ ﷺ، كان اسمها "برة"، فأسمها

ميمونة، وتزوجها السنة السابعة لما توجه إلى مكة للعمرة بعد خيبر، وهي التي وهبت نفسها

للنبي ﷺ وتوفيت وصلى عليها ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: الاستيعاب في معرفة

الأصحاب: ابن عبد البر: ١٩١٤-١٩١٨.

^(٢٧) صحيح البخاري: ١٢٨/٢، رقم (١٤٩٢)، وصحيح مسلم: ٢٧٦/١، رقم (٣٦٣).

ﷺ: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليط ما كان بها من أذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»^(٢٨).

ومن أجل الأعمال التي حث عليها الإسلام وأثنى عليها ورغب فيها، ووعد فاعليها بأعظم المثوبة، استصلاح الأراضي البور^(٢٩)، لما فيه من توسيع الرقعة الزراعية، وزيادة مصادر الإنتاج؛ ولأن الأرض الزراعية مصدر القوت والطعام للإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، وقوله ﷺ: «من أكرم أرضاً ليست لأحدٍ فهو أحق»^(٣٠)، أي أحق بها.

المطلب الثالث

مقومات العمل والإنتاج في الإسلام

أولاً: التخطيط والتنظيم في الإنتاج:

إن الأهداف التي يسعى إليها الإنتاج في الإسلام لا يمكن أن تتحقق إلا بالتخطيط القائم على المعرفة والإحصاء الدقيق، وتوفر الإمكانيات اللازمة والوسائل الميسورة، وتحديد العوائق والمشكلات ووضع الحلول لها، والتوسع بالقدر الذي يحقق التطلعات، ويلبي الطموحات، كما أن ((التخطيط قد يؤول في حال...إلى ترك بعض المكاسب من أجل أن يحقق مكاسب جديدة))^(٣١)، وأيضاً فإن ((التخطيط يساعد على اكتساب المرونة اللازمة للتفاعل مع المتغيرات، والإحساس بموقعها النسبي...والاستثمار الأمثل لوجودها))^(٣٢).

^(٢٨) صحيح مسلم: ١٦٠٦/٣، رقم (٢٠٣٣).

^(٢٩) الأراضي البور، والموات: هي (ما ليس مملوكاً من الأرضين، ولا ينتفع بها...ونكون خارجة عن البلد، فلا يكون مواتاً ما كان ملكاً لأحد الناس أو ما كان داخل البلد، أو خارجاً عنها؛ ولكنه مرفق لها كمحتطب لأهلها أو مرعى لأنعامهم). الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة بن مصطفى الزحيلي: ص ٤٥٦٤.

^(٣٠) صحيح البخاري: ١٠٦/٣، رقم (٢٣٣٥).

^(٣١) بين الرشد والتهيه: مالك بن نبي: ص ١٦٩.

^(٣٢) الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية: محمود أحمد شوقي: ص ٢٥.

والتخطيط في النمو الاقتصادي ((يهدف أساساً إلى تحريك كامل طاقاته وموارده البشرية والمادية تحريكاً يؤدي إلى خلق "ديناميكية" (٣٣) اجتماعية، وبابتعاد أحد عناصر هذا التخطيط مهما كان ضئيلاً عن المقياس العام للمجموع، أو عن القواعد الأخلاقية الملازمة للعمل الجماعي لا يؤدي النتيجة المطلوبة، بل يؤثر تأثيراً سلبياً على توازن "الديناميكية" التي يُراد خلقها، فبرنامج التنمية لبلد ما تكون سائر فرص النجاح لديه مسجلة مسبقاً في منهجيته التخطيطية، وفي نوعية خطته التقنية والأخلاقية)) (٣٤)، كما أن ((التخطيط يحتاج إلى وقت وكذلك التنظيم والتوجيه والرقابة واتخاذ القرارات)) (٣٥).

وهذا يتطلب ضرورة إعمال الفكر والنظر في ((...تطوير أساليب الاستثمار ووجوه الانتفاع، وطرائق الكسب في إطار ما شرع الله ﷻ)) (٣٦).

ثانياً: التَّحْفِيزُ عَلَى الْعَمَلِ وَالتَّرْغِيبُ فِي الْإِنْتِاجِ:

حَقَّرَ الإسلام على الإنتاج ورَغَّبَ إليه، وذلك لما له من دور بارز في استغلال موارد الثروة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي للفرد والأمة، وهذا بدوره يمنح الأمة القوة والغلبة والاستقلال، ويقطع دابر الضعف والتبعية، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فالأمر في الآية الأول بالسعي والمشى والعمل بغرض الأكل من رزق الله ﷻ، والنهي في الآية الثانية عن كل ما حرم الله ﷻ من زينة ترغيب لإنتاج الطيبات (٣٧).

ومما ورد في الحث على الإنتاج والترغيب فيه، قوله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده» (٣٨).

والله خلق جميع الكائنات بإتقان وانضباط، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وسخر للإنسان منها ما يحتاجه في معيشتة، وانتظام حياته،

(٣٣) "الديناميكية" تعني: الحركة والنشاط والحيوية. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة:

أحمد مختار عمر: ٧٩٧/١.

(٣٤) من أجل التغيير: مالك بن نبي: ص ٣١.

(٣٥) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري: خالد الجريسي: ص ٥٧.

(٣٦) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٧٨.

(٣٧) انظر: الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٧٦.

(٣٨) صحيح البخاري: ٥٧/٣، رقم (٢٠٧٢).

وزرع فيه خُب السعي والعمل كفطرة جُبِل عليها من أجل الاستفادة من هذا التسخير^(٣٩).

والإسلام يحث على ممارسة الإنتاج كنشاط اقتصادي بكل صوره ومجالاته، ومختلف طرقه وتفرعاته، ولهذا حث على ((إتقان العمل وأدائه على الوجه الصحيح، وبمعنى اقتصادي أن يؤدي العامل العمل بأكبر كفاءة إنتاجية ممكنة))^(٤٠)، قال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(٤١)، بل جاءت النصوص الشرعية تشدّد الهمم، وتدفعها إلى بذل أقصى ما في وسعها من العمل والإنتاج، قال ﷺ: «خير الكسب، كسب يد العامل إذا نصح»^(٤٢)، وبهذا يشعر العامل بالسعادة نظراً للعائد الذي سيحوزه من الإنتاج والعمل؛ ولأنه أيضاً أحل مطعمه ومشربه ومسكنه ودواءه. ومما يدل أن الإسلام يحث على العمل، ويعزز من دوره، ويحفز إليه، أنه يعتبره عبادة إذا اقترنت به النية الصالحة، وصحبه الإخلاص والإتقان، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٤٣)، بل يجب تفعيل روح التنافس في ميدان العمل والإنتاج؛ لأنّ سلف الأمة تنافسوا في ميدانه، وأبدعوا في مضماره، فقامت على أيديهم حضارة ربانية عالمية إسلامية، جمعت بين العلم والعمل، والقول والفعل، والتنظير والتطبيق.

ثالثاً: تحديد مجالات العمل وميدان الإنتاج:

وميدان العمل والإنتاج رحب واسع، فكل ما يحتاجه الإنسان وينتفع به، وفي مقدوره الحصول عليه، وبحاجة إلى بذل الجهد يندرج في حدود العمل والإنتاج المشروع، ما لم يرد دليل شرعي على تحريمه، أي أن كل ما سخره الله ﷻ للإنسان من خيرات السماء وبركات الأرض هي ميدان للعمل والإنتاج المشروع، وما على الإنسان إلا بذل الجهد واستثمار الوقت في العمل المثمر والإنتاج النافع، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

^(٣٩) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه: أحمد العسال (وآخرون): ص ١٢١.

^(٤٠) مبادئ الاقتصاد الإسلامي: سعد بن حمدان اللحياني: ص ٣٧.

^(٤١) مسند أبي يعلى: ٣٤٩/٧، رقم (٤٣٨٦)، وشعب الإيمان للبيهقي: ٢٣٢/٧، رقم (٤٩٢٩).

^(٤٢) مسند الإمام أحمد: ١٣٦/١٤، رقم (٨٤١٢)، وحسنه المحقق شعيب الأرناؤوط.

^(٤٣) صحيح البخاري: ٦/١، رقم (١)، وصحيح مسلم: ١٥١٥/٣، رقم (١٩٠٧).

والإنسان فُطر على السعي، والعمل لتعمير الأرض، وهذه الفطرة تدفعه لأن يبحث في الآفاق، ويعمل وينتج ويكتشف، ويدرك أسرار الله ﷻ في مخلوقاته ﷻ، وكيفية الاستفادة منها، وما دام أن خيرات الأرض كثيرة ومتنوعة، فقد جعل الله ﷻ تلك الخيرات مصدراً مثمرًا للعمل والإنتاج معاً^(٤٤).

رابعاً: ضرورة الإتقان في العمل:

لكي يُثمر العمل لا بد للمسلم أن يختار من العمل ما يناسب قدراته ومهاراته، وأن يكون على معرفة تامة بطبيعة العمل ومستلزماته ومتطلباته، وأيضاً الإخلاص فيما يُقدم عليه من الأعمال، وبهذه المواصفات يستطيع المسلم أن يُتقن في عمله، وأن يأتي أكله وثمرته يانعه^(٤٥)، وقد جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»^(٤٦).

والإتقان يقتضي الإخلاص والإحكام في العمل، فلا يُنجز المسلم العمل لمجرد الكسب والمعيشة، ولا يقرن الإخلاص بمقدار الأجرة التي يتقاضاها، بل يجب أن يتقن عمله وفق ما تقتضيه مهارة الصنعة، ومتطلبات العمل، فمن نظر إلى جمال صنع الله ﷻ وإحكامه وإتقانه وجب عليه الإتقان والإخلاص في عمله^(٤٧).

والإتقان في العمل واجب شرعي لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٤٨)، أي أن الإحسان في العمل وتجويده وإتقانه ليس فضلاً، بل هو فريضة شرعية مكتوبة على كل مسلم قادر على العمل، وعلى هذا لا يجوز التقريط أو التهاون فيه، كما أن أحب الأعمال إلى الله ﷻ أجودها، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»^(٤٩).

ومن لوزم الاتقان الجمع بين العلم والعمل في الإنتاج، فالعلم أحد دعائم الإنتاج ومقوماته الرئيسية، ويجب أن يكون العلم في مختلف فنون المعرفة، ويخدم مجالات الحياة المتعددة، وهو العلم القائم على الفهم الدقيق والواعي وليس على الحفظ والاستظهار، ولهذا يذكر الله ﷻ العقل والتفكير في معرض الامتنان بالكثير من النعم والثروات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(٤٤) انظر: الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٨١-٨٥.

(٤٥) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه: أحمد العسال (وآخرون): ص ١٣٦.

(٤٦) شعب الإيمان للبيهقي: ٢٣٢/٧، رقم (٤٩٢٩)، والمعجم الأوسط للطبراني: ٢٧٥/١.

رقم (٨٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٠٦/٣-١٠٧، رقم (١١١٣).

(٤٧) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي: ٢٢٤/٢.

(٤٨) صحيح مسلم: ١٥٤٨/٣، رقم (١٩٥٥).

(٤٩) سبق تخريجه.

* وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونًا وَغَيْرُ صِنُونًا يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُقَصِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣ - ٤].

ويلي العلم العمل، وإلا فلا فائدة من العلم الذي لا يتحول إلى مشاريع إنتاجية، يستخرج خبايا الأرض، وينتفع بثروتها، وبتلازم العلم والعمل يتحقق مفهوم العبادة، فـ((العبادة الحققة هي التي تجمع بين العلم والعمل، بين الفقه والتفكير، وبين حسن العمل وحسن القصد))^(٥٠)، كما أنَّ العلم ما هو إلا ((اكتشاف حقائق جديدة وإضافتها إلى الحقائق المعروفة سابقاً))^(٥١).

ولعل من أبرز ثمار الاتقان في الإنتاج: ((ما نشاهده اليوم من تقدم علمي في مجال الزراعة، والصناعة، والتجارة، والنقل، والاتصالات، لهو شاهد كبير على إمكانية الاستفادة من الأرض، وما حولها في عمليات الإنتاج، والذي يجب أن يستثمر فيما هو مباح ومشروع، ويوظف لصالح البشرية))^(٥٢).

المبحث الثاني

علاقة العمل والإنتاج بالتوكل والأخذ بالأسباب

يُعد العمل والإنتاج من المرتكزات الأساسية للنهوض الحضاري، وهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بعبقيرة المسلم، وتحكمهما أخلاق وقيم ومبادئ منبثقة أصلاً من العقيدة الإسلامية، وللتوكل والأخذ بالأسباب أثرهما في إتقان العمل وتجويد الإنتاج الذي يتحقق بهما النهوض والتطور المادي، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

مفهوم التوكل والأسباب والعلاقة بينهما

أولاً: تعريف التوكل:

التوكل لغة: ((إظهار العجز، والاعتماد على الغير))^(٥٣)، وأيضاً ((وكل بالله يكل وتوكل على الله وأوكل وأتكل: استسلم إليه))^(٥٤).

والتوكل اصطلاحاً: هو ((حركة ذات الإنسان في الأسباب بالظاهر والباطن، وسكون إلى المسبب وركون إليه، بحيث لا يضطرب قلبه معه، ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه))^(٥٥).

^(٥٠) مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: ١٤٥/١٦.

^(٥١) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: رجاء وحيد دويدري: ص ٢٣.

^(٥٢) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف: عبد الله الطريفي: ص ٨٥.

^(٥٣) لسان العرب: ابن منظور: ٧٣٦/١١.

^(٥٤) القاموس المحيط: الفيروز آبادي: ص ١٠٦٩.

وَيُعرَفُ بِأنَّه: ((صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المنافع ودفع المكروه والمضار من أمور الدنيا والآخرة، وتوكيل الأمور كلها إليه))^(٥٦).
وأيضاً هو ((الاعتماد على الله ﷻ في حصول المطلوب ودفع المكروه، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها، ولا بد من أمرين: الأول: أن يكون الاعتماد على الله ﷻ اعتماداً صادقاً حقيقياً، والثاني: فعل الأسباب المأذون فيها))^(٥٧)، أي أنه لا بد من الجمع بين التوكل على الله ﷻ والأخذ بالأسباب كاملة، وهذا هو من صميم الإيمان بالله ﷻ.

ثانياً: تعريف السبب:

السبب لغة: هو ((كل شيء يتوصل به إلى غيره))^(٥٨)، قال تعالى: (وَأَنبِئَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعْ سَبَبًا) [الكهف: ٨٤ - ٨٥].
واصطلاحاً: هو ((ما يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم لذاته))^(٥٩)، فمثلاً هناك أسباب للحصول على الزوجة الصالحة، ولا يمكن الحصول عليها في حال العجز عن القدرة المادية والجسدية؛ لأنها من الأسباب التي يتوقف عليها وجود الزوجة، وكذلك بقية الأهداف المشروعة لها أسبابها، فإذا تعذرت الأسباب تعذر الوصول إليها.

ثالثاً: تعريف التواكل:

التواكل لغة: ((إظهار العجز، والاعتماد على الغير، ويسمى التكلان))^(٦٠).
واصطلاحاً: هو ترك العمل بالأسباب، ((كأن يكون العبد بين يدي الله ﷻ كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء، لا يكون له حركة ولا تدبير))^(٦١).

رابعاً: الفرق بين التوكل والتواكل:

يقتضي التوكل الأخذ بالأسباب، والتواكل هو ترك الأسباب وعدم بذلها، والتواكل ديدن المتصوفة في عدم السعي في الأرض وإهمال إعمارها^(٦٢)، والمدعوم فكرياً من الأعداء، وخصوصاً الحركة التبشيرية التي رافقت الاستعمار الغربي للعالم

^(٥٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١١٦/٢.

^(٥٦) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب: ٤٩٧/٢.

^(٥٧) القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين: ٨٧/٢.

^(٥٨) انظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٥٨/١.

^(٥٩) المذهب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم بن علي النملة: ٣٩١/١.

^(٦٠) انظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي: ص ١٠٦٩.

^(٦١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١٢٢-١٢١/٢.

^(٦٢) النظريات العلمية الحديثة: حسن بن محمد حسن الأسمر: ٤٣٦/١.

الإسلامي^(٦٣)، ولم يقتصر التوكل على الأفراد، بل تعداهم إلى بعض الجماعات الإسلامية ذات الصلة فكرياً ومنهجاً بالتصوف^(٦٤).

والإسلام يَوْزُّ التوكل ويحث عليه ويرزِّب فيه، بل جعله من الإيمان ومن صفات المؤمنين الأخيار، أمَّا التوكل فليس من الدين في شيء، بل هو منهج الجهلاء، وديدن أهل الكسل والعجز، كما أنَّ التوكل فيه خير للأمة؛ لأنَّ صاحبه يعمل ويُنتج من خلال الأسباب التي يُباشرها، ولهذا يُعوَّل عليه تطور المجتمع ونهوض الأمة، أمَّا المتوكل فهو عائلة على الآخرين، يأخذ ولا يُعطي، ويستهلك ولا يُنتج، بل يُمثل جوانب ضعف المجتمع وتخلف الأمة؛ لأنَّه لم يعي حقيقة التوكل، ولم يفهم فن الأخذ بالأسباب، وشتان بين المتوكل والمتوكل.

خامساً: أنواع التوكل والأسباب:

التوكل على الله ﷻ على ضربين: ((أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، وبين النوعين من الفضل ما لا يحصىه إلا الله ﷻ))^(٦٥)، وبهما يصل العبد كمال التوكل، ((وكمال التوكل ألا يكون للمؤمن حاجة إلى غير الله ﷻ، أي لا يسأل غير الله ﷻ، ولا يستشرف بقلبه إلى غير الله ﷻ))^(٦٦).

والتوكل تارة يكون توكلًا اضطراراً وإلجاءً عند الشدة، وتارة يكون توكلًا اختياراً، وعلاقة هذا الأخير بالسبب عند ابن القيم على ثلاثة أنواع^(٦٧):

١. أن يكون السبب مأموراً به، فهنا يجب عليه الجمع بين اتخاذ السبب وتحقيق التوكل والواجب القيام بهما.
٢. أن يكون السبب منهياً عنه، فهنا تحرم مباشرة السبب ويتعين تحقيق التوكل.
٣. أن يكون السبب مباحاً، وهنا ينظر هل يضعف قيامك به التوكل أو لا يضعفه، فإن أضعفه وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى، وإن لم يضعفه فمباشرته أولى، وتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القربة.

فمعرفة أنواع الأسباب وعلاقتها بالتوكل من الأمور المهمة التي يجب على المؤمن إدراكها، إذ بها يستطيع أن يحقق معنى التوكل على الله ﷻ في صلاح الدين

^(٦٣) دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام: ص ٢٦٣

^(٦٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي: ص ٣٦٨.

^(٦٥) الفوائد: ابن القيم: ص ٨٦.

^(٦٦) الرد على الشاذلي في حزيبه وما صنفه في آداب الطريق: ابن تيمية: ص ٥.

^(٦٧) الفوائد: ابن القيم: ص ٨٦-٨٧ (بتصرف يسير).

والدنيا، والقلب والجوارح، وأن يتحقق الهدف والغاية من مناجاة ربه ﷻ في كل صلاة قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ^(٦٨).

المطلب الثاني

التوكل والأسباب في الإسلام

أولاً: التوكل في القرآن الكريم:

ورد التوكل في القرآن الكريم في مواطن كثيرة نصاً ومعنى، وهذا يدل على أهميته وفضله، ومنها:

أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّ التَّوَكُّلَ يَمُنَحُ الْعِبَادَ مَحَبَّةَ اللَّهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [المائدة: ١١]، وَأَنَّهُ ﷻ نِعَمَ الْوَكِيلِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَاللَّهُ ﷻ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وَنَفِي الْوَكَالَةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ ﷻ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦].

وَالْتَّوَكُّلُ مِنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وَالْأَمْرُ بِالتَّوَكُّلِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٥].

ثانياً: الأخذ بالأسباب في القرآن الكريم:

النصوص الواردة في الأخذ بالأسباب كثيرة في القرآن الكريم، وقد أتت بمعانٍ متنوعة، وفي مجالات مختلفة، وهي في مجملها تُرشد المسلم إلى وجوب الأخذ بالأسباب في تحقيق المنافع ودفع المفساد، ومنها: جعل الله ﷻ المطر سبباً في إنبات الأرض واخضرارها وإثمارها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، وجعل قتال الكفار للمسلمين سبباً موجباً لقتلهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، وجعل العدوان سبباً للرد بالمثل، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وجعل إعداد القوة العسكرية والحربية سبباً للدفاع عن الأمة، والذود عن معتقداتها ومكتسباتها المادية والمعنوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

^(٦٨) التحفة العراقية في الأعمال القلبية: ابن تيمية: ص ٤٣.

وجعل أكل النحل من الثمرات المتنوعة سبباً لعلاج مختلف الأمراض، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].
وجعل البحر سبباً لجريان الفلك بما تحمل من أشياء ثقيلة يصعب حملها أو نقلها، حتى يبتغي الإنسان من فضل الله ﷻ، وفي هذا منافع للإنسان كثيرة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الجاثية: ١٢].
ثالثاً: التوكل والأخذ بالأسباب في السنة النبوية:

كان النبي ﷺ متوكلاً على ربه ﷻ في حله وترحاله، وفي حركاته وسكناته، وفي يقظته ومنامه، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب، ويبحث عليها، ومن النصوص المأثورة عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ التي وردت في التوكل والأخذ بالأسباب كثيرة، منها على سبيل المثال: عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً»^(٦٩).

عن عمران بن حصين^(٧٠) قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتونون، وعلى ربهم يتوكلون»^(٧١).
عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾» [آل عمران: ١٧٣]»^(٧٢).
وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله أعفلها وتوكل أو أطلقها وتوكل؟ قال: «أعفلها وتوكل»^(٧٣)، وهذه النصوص وغيرها تدل على أهمية التوكل على الله ﷻ في كل شيء.

رابعاً: التوكل والأخذ بالأسباب عند سلف الأمة:

الصحيح الذي تدل عليه النصوص هو أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، بل إن التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وهذا ما فهمه سلف

^(٦٩) مسند الإمام أحمد: ٤٣٨/١، رقم (٣٧٠)، وصححه المحقق شعيب الأرناؤوط.

^(٧٠) عمران بن الحصين الخزاعي [ت: ٥٢هـ]: من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة ٧هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم، وتولى قضاءها، وتوفي بها، له (١٣٠) حديثاً. انظر: تهذيب التهذيب: ابن حجر: ١٢٥/٨-١٢٦.

^(٧١) صحيح البخاري: ١٣٤/٧، رقم (٥٧٥٢)، وصحيح مسلم: ١٩٨/١، رقم (٢١٨).

^(٧٢) صحيح البخاري: ٣٩/٦، رقم (٤٥٦٣).

^(٧٣) سنن الترمذي: ٦٦٨/٤، رقم (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته: ٢٤٢/١، رقم (١٠٦٨).

الأمة، وأكد ابن القيم رحمه الله تعالى- بقوله: ((بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق))^(٧٤)، ونحن مأمورون بأن نمارس عبودية الأخذ بالأسباب، كما نحن مأمورون بممارسة عبودية التوكل؛ لأنه لا تقوم عبودية الأسباب إلا على التوكل، ولا يقوم التوكل إلا على العبودية^(٧٥).

ومن أجل فوائد الأخذ بالأسباب التي ذكرها سلف الأمة تحقيق معنى العبودية الخالصة لله ﷻ، أي ((القيام بالعبودية والأمر الذي خلق له العبد، وأرسلت به الرسل، وأنزلت لأجله الكتب، وبه قامت السماوات والأرض، وله وجدت الجنة والنار، فالقيام بالأسباب المأمور بها محض العبودية، وحق الله ﷻ على عبده الذي توجهت به نحوه المطالب، وترتب عليه الثواب والعقاب))^(٧٦)، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

ولا بد من الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب، بل إن من تمام التوكل الأخذ بالأسباب، قال ابن القيم رحمه الله تعالى-: ((وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله ﷻ وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره، وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء))^(٧٧).

أمّا منزلة التوكل والأخذ بالأسباب عند سلف الأمة، فقد أفصح عنها ابن القيم رحمه الله- فقال: ((التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، والتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة))^(٧٨). وهذا الاستنباط يظهر جلياً من قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فر ((التوكل نصف الدين... فنحن نطلب من الله ﷻ العون اعتماداً عليه ﷻ، وبأنه سيعيننا على عبادته))^(٧٩)، وبهذا نكون قد باشرنا الأسباب، وجمعنا بين التوكل والأسباب في عبادته ﷻ.

وخلاصة ما يتعلق بالتوكل والأخذ بالأسباب، ((والذي عليه السلف والأئمة والفقهاء والجمهور وكثير من أهل الكلام إثبات الأسباب، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع دلالة الحس والعقل... فإن الذي عليه الجمهور أن المتوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره... والقرآن يدل على ذلك في

^(٧٤) الفوائد: ابن القيم: ص ٨٦.

^(٧٥) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١٢٠/٢.

^(٧٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١٣٠/٢.

^(٧٧) الفوائد: ابن القيم: ص ٨٧.

^(٧٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١١٣/٢-١١٤.

^(٧٩) القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين: ٨٨/٢ (بتصرف يسير).

مواضع كثيرة))^(٨٠)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وبهذا يتضح أنَّ منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج المعتدل المنبثق من الكتاب والسنة، حيث يقوم منهجهم على الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب، أي بين اعتماد القلب على الله ﷻ والأخذ بالأسباب المأمور بها، مع اعتقادهم الجازم أنَّها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا تدفع ضرراً، بل السبب والمسبب فعل الله ﷻ والكل بمشيئته، وارتباط حصول المطلوب بمباشرة الأسباب ليس قاعدة ثابتة، ولا يمكن الجزم بأن حصول المراد يكون إذا وجد السبب إطلاقاً، بل المطلوب من المؤمن التوكل على الله ﷻ وحده مع مباشرة الأسباب، وترك النتيجة لله ﷻ بعد نفاذ الأسباب، وتقبلها بقلب المؤمن الصابر المحتسب، فالله ﷻ قد يعطي أو يمنع مع وجود السبب، وهذه هي عقيدة المؤمن في التوكل والأخذ بالأسباب في كل زمان ومكان.

المبحث الثالث

أثر الإيمان في العمل والإنتاج

للإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر أثره في الرِّفع من وتيرة العمل، وزيادة الإنتاج وتحسينه وشموليته، بحيث يُغطي متطلبات السوق الإسلامي، ويوفر جميع احتياجات الفرد والمجتمع على السواء، ومن ذلك:

أولاً: السكينة والاطمئنان:

السكينة والاطمئنان من ثمار العقيدة الإسلامية، ((تسكب العقيدة في نفوس البشر الطمأنينة، وفي قلوبهم السكينة، وترببهم على العزة والشجاعة))^(٨١)، وكل هذه المعاني ينعكس أثرها الإيجابي في الإنتاج من حيث الكم والجودة. إنَّ للسكينة دورها في إتقان العمل وتجويد الإنتاج، ((والطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء وثوقه به وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه))^(٨٢)، ((وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار))^(٨٣)، ((والطمأنينة تستلزم السكينة ولا تفارقها))^(٨٤)، والمؤمن يتمتع بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر،

^(٨٠) جامع الرسائل: ابن تيمية: ٨٨/١.

^(٨١) التعريف بالإسلام: مركز قطر للتعريف بالإسلام: ص ١٦٤.

^(٨٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة: ابن القيم: ٧٤١/٢.

^(٨٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن القيم: ٧٦/١.

^(٨٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ٤٨٢/٢.

ف((الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة))^(٨٥)، كما أن ((الصدق يورث الطمأنينة والسكون))^(٨٦).

والطمأنينة تجمع العديد من المعاني السامقة، ف((مقام الطمأنينة جامع للإنابة والتوكل، والتفويض والرضى والتسليم))^(٨٧)، وهذا كله يؤثر في زيادة الإنتاج وجودته، فالإنسان الشارد ذهنياً أو المضطرب نفسياً، أو الذي يملأ جوفه اليأس والحقد والحسد والكراهية لا يحسن في عمله، ولا يُثمر في إنتاجه.

ثانياً: العمل والإنتاج في دائرة الحلال:

يجب أن يكون الإنتاج في دائرة الحلال، فالمسلم لا يُهمه الكسب والأرباح بقدر ما يُهمه مشروعية العمل والإنتاج الذي يباشره؛ لأنَّ إيمانه بالله ﷻ واليوم الآخر يدفعه بقوة إلى الوقوف عند ما أحل الله ﷻ، فلا يتعداها إلى ما حرم الله ﷻ، والله ﷻ يقول: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، والتعدي في الآية بمعنى ((ومن يتجاوز حدود الله ﷻ التي حدّها لعباده، بأن أدخل بشيء منها))^(٨٨)، ومعنى ظلم نفسه، أي ((أهلك نفسه وأوبقها))^(٨٩).

فلا يجوز للمسلم أن يستغل نشاطه في زراعة ما لا يحل تناوله، كالحشيش والتبغ، أو صناعة الأصنام والتماثيل المحرمة^(٩٠)، وأواني الذهب والفضة، وغيرها مما لا يجوز استعماله^(٩١)؛ لأنَّ ما حُرِّم استعماله، فتحريم إنتاجه من باب أولى.

وكل ما يُفسد العقائد والأخلاق يُحرَّم إنتاجه، ومن ذلك إنتاج المسرحيات، والأفلام، والمسلسلات، والأغاني، والروايات الماجنة، والمجلات الخليعة^(٩٢)، وغير ذلك مما يسلب الأمة عن معتقدها وقيمتها وهويتها، بل يُعدُّ إنتاج هذه المواد أشدَّ خطراً وأكثر فتكاً؛ لأنها تُدمر العقول والأفكار تحت مسميات وشعارات واهية لا أساس لها من الشرع، كما أنَّ ضررها يتعدى الفرد إلى المجتمع والأمة، والشاهد حال الأمة في الوقت الراهن، وما أصابها من وهن وضعف خصوصاً الأوساط التي انتشرت فيها المنتجات الإعلامية والثقافية المحرمة.

(٨٥) مجموع فتاوى: ابن تيمية: ٥٣٠/٧.

(٨٦) مجموع فتاوى: ابن تيمية: ٥٧١/٥.

(٨٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم: ١٥٧/١.

(٨٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي: ٤٤٦/١٤.

(٨٩) تفسير القرآن: منصور بن محمد المروزي السمعاني: ٤٦٠/٥.

(٩٠) الفقه الميسر: عبد الله بن محمد الطيار: ٤٠/٦.

(٩١) فتح الرحمن بشرح زبد بن رسلان: أحمد بن حمزة الرملي: ص ١٤٥.

(٩٢) المعاملات المالية أصالة ومعاصرة: أبو عمر دُبَّان بن محمد الدُّبَّان: ٢٣/١.

وللاستقامة أبلغ الأثر في تسريع عجلة الإنتاج وجودته، والاستقامة والالتزام بأحكام الشرع وأدابه ينبثقان أصلاً من الإيمان بالله ﷻ، فالمؤمن الصادق في إيمانه يقف عند حدود الله ﷻ فلا يتعدها، وهذا أثر الإيمان وثمرته.

فأهل الاستقامة والاعتدال في نظر الشرع هم الذين ((يطيعون الله ﷻ ورسوله ﷺ بحسب الإمكان، فيتقون الله ﷻ ما استطاعوا، وإذا أمرهم الرسول ﷺ بأمر أتوا منه ما استطاعوا، ولا يتركون ما أمروا به))^(٩٣)، والاستقامة تدفع المؤمن إلى استغلال الوقت في المفيد والنافع، لأنه ((عامل نهوض وتقدم))^(٩٤).

الخاتمة

نحمد الله تعالى أن سهل ويسر لنا إعداد هذا البحث العلمي المتواضع، ووسنتوج نهايته بالخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١. إن العمل في الإسلام فرض كفاية، كما أن العمل أثر الإيمان وثمرته، ولا يحل لمسلم أن يقعد عن العمل، أو يعتمد على المساعدات والإعانات، وهو قوي قادر على الاكتساب، فاليد العليا خير من اليد السفلى، والإنتاج فرض كفاية، ويلحق الإثم جميع الأمة إذا أهملت الإنتاج بشكل عام، أو جانب من الإنتاج تحتجاجة الأمة.

٢. يهدف الإنتاج إلى تحقيق معنى العبودية لله ﷻ، وتوفير حد الكفاية للفرد والمجتمع والأمة، وتمكين المجتمع الإسلامي من تحقيق أهدافه وأداء رسالته، والمحافظة على الموارد وحمايتها، كما يلزم التخطيط والتنظيم في الإنتاج، والتحفيز على العمل والترويج في الإنتاج، وتحديد مجالات العمل وميدان الإنتاج، وضرورة الإتيان في العمل.

٣. الحث على العمل والإنتاج يأتي من منطلق التوكل والأخذ بالأسباب، فالمتوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره.

٤. للإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر أثره في الرفع من وتيرة العمل، وزيادة الإنتاج وتحسينه وشموليته، بحيث يُعطى متطلبات السوق الإسلامي، ويوفر جميع احتياجات الفرد والمجتمع على السواء، كالسكنية والاطمئنان، والعمل والإنتاج في دائرة الحلال، فالمسلم لا يهتمه الكسب والأرباح بقدر ما يهتمه مشروعية العمل والإنتاج، وكل ما يُفسد العقائد والأخلاق يُحرم إنتاجه، وللاستقامة أبلغ الأثر في تسريع عجلة الإنتاج وجودته.

^(٩٣) حقوق آل البيت: ابن تيمية: ص ٤٤.

^(٩٤) بين الرشاد والتهيه: مالك بن نبي: ص ٦٩.

ثانياً التوصيات والمقترحات، وأهمها:

١. ضرورة توفير الأعمال ذات المعارف والمهارات التي تتناسب مع التقدم العلمي والتقني الذي أصبح فريضة شرعية وضرورة عصرية.
٢. إثراء الكثير من الموضوعات ذات الصلة بالعمل والإنتاج وخصوصاً تنفيذ الشبه التي دائماً ما تلصق بالفقر والعجز والتخلف بالإسلام وعقيدته.
٣. إثراء الموضوعات الاقتصادية بكثير من الدراسات التطبيقية، والاستفادة من نتائجها في مختلف المؤسسات الخاصة والعامة.

فهرس المصادر والمراجع

١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي [ت: ٧٩٥هـ]: تح: شعيب الأرناؤوط (وآخرون): مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٧) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع: ط (٢) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٢. حقوق آل البيت: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني [ت: ٧٢٨هـ]: تح: عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان: د ط ت.
٣. دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ط (١٦)، العدد (٦١) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٤. الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي [ن: ٧٢٨هـ]: تح: علي بن محمد العمران: دار عالم الفوائد، مكة: ط (١) ١٤٢٩هـ.
٥. سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي [ت: ٩٤٢هـ]: تح: عادل أحمد عبد الموجود (وآخرون): دار الكتب العلمية بيروت، لبنان: ط (١) ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني [ت: ١٤٢٠هـ]: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ج (١ - ٤): ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج (٦) ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج (٧): ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٧. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني [ت: ٢٧٥هـ]: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: د ط ت.
٨. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى [ت: ٢٧٩هـ]: تح: أحمد محمد شاكر (وآخرون): مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: ط (٢) ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٩. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي [ت: ٤٥٨هـ]: تح: محمد عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ط (٣) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٠. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي [ت: ٤٥٨هـ]: تح: عبد العلي عبد الحميد حامد (وآخرون): مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند: ط (١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١١. صحيح البخاري " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ": محمد بن إسماعيل البخاري: تح: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة: ط (١) ١٤٢٢هـ.
١٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني [ت: ١٤٢٠هـ]: المكتب الإسلامي: د ط ت.
١٣. صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ":

- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري [ت: ٢٦١هـ]: تح: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي، بيروت: د ط ت.
١٤. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة: محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية [ت: ٧٥١هـ]: تح: علي بن محمد الدخيل الله: دار العاصمة، الرياض، السعودية: د ط ت.
١٥. فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان: أحمد بن حمزة الرملي [ت: ٩٥٧هـ]: دار المنهاج، بيروت، لبنان: ط (١) ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٦. الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر، دمشق، سورية: ط (٤) د ت.
١٧. الفقه المبسّر: عبد الله بن محمد الطيّار (وآخرون): مَدَارُ الْوَطْنِ لِلنَّشْرِ، الرياض، السعودية: ط (١) ١٤٣٢-٢٠١١ ج (٧)، ١١-١٣: ط (٢) ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م باقي الأجزاء.
١٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي [ت: ١٤٠٢هـ]: مكتبة وهبه: ط (١٠) د ت.
١٩. الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية [ت: ٧٥١هـ]: دار الكتب العلمية، بيروت: ط (٢) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٢٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبد الرؤوف المناوي [ت: ١٠٣١هـ]: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط (١) ١٣٥٦هـ: ط (٢) ١٣٩١هـ.
٢١. القاموس المحيط: الفيروز أبادي محمد بن يعقوب [ت: ٨١٧هـ]: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: ط (٨) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٢. القضاء والقدر: عمر بن سليمان العتيبي: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن: ط (١٣) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣. القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين [ت: ١٤٢١هـ]: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية: ط (٢) ١٤٢٤هـ.
٢٤. لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم [ت: ٧١١هـ]: تح: دار المعارف، القاهرة، مصر: طبعة ١١١٩هـ، ودار صادر، بيروت: ط (١) د ت، ط (٣) ١٤١٤هـ.
٢٥. مبادئ الاقتصاد الإسلامي: سعد بن حمدان اللحاني: طبعة ١٤٢٨هـ.
٢٦. مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية: د ط ت.
٢٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني [ت: ٧٢٨هـ]: تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (وآخرون): مجمع الملك فهد بن عبد العزيز، المدينة المنورة: طبعة ١٣١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢٨. محاسن التأويل: جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي [ت: ١٣٣٢هـ]: تح: محمد باسل: دار الكتب العلمية، بيروت: ط (١) ١٤١٨هـ.
٢٩. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب [ت: ٧٥١هـ]: تح: محمد المعتصم بالله البغدادي: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان:

- ط (٣) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٠. مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن هلال [ت: ٣٠٧هـ]: تح: حسين سليم أسد: دار المأمون للتراث، دمشق: ط (١) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني [ت: ٢٤١هـ]: تح: شعيب الأرناؤوط (وآخرون): مؤسسة الرسالة: ط (١) ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٢. المعاملات المالية أصالة ومعاصرة: أبو عمر دُيَّان بن محمد الدُّيَّان: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية: ط (٢) ١٤٣٢هـ.
٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر [ت: ١٤٢٤هـ] (وآخرون) بمساعدة: عالم الكتب: ط (١) ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٤. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: عادل نويهض: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان: ط (٣) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٣٥. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني [ت: ٣٦٠هـ]: تح: طارق بن عوض (وآخرون): دار الحرمين، القاهرة: د ط ت.
٣٦. مفهوم العمل وأحكامه العامة في الإسلام: صادق مهدي السعيد: مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد: د ط ت.
٣٧. من أجل التغيير: مالك بن نبي [ت: ١٣٩٣هـ]: دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ودار الفكر دمشق، سوريا: ط (٤) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٨. المذهب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة: مكتبة الرشد، الرياض: ط (١) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٩. النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه: أحمد محمد العسال (وآخرون): مكتبة وهبة: ط (٧) ١٤٠٥هـ.
٤٠. النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها: حسن بن محمد حسن الأسمر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ومركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية: ط (١) ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤١. الوجيز في عقيدة السلف الصالح: عبد الله بن عبد الحميد الأثري: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية: ط (١) ١٤٢٢هـ.